The Quranic Treatment of the Drivers of Family Disintegration: An Analytical Approach to the Reality of Modern Society

Firas Muslm Salim Al-Zubadi

The General Directorate for Education of Diyala- Iraq
firas.m.zubaidi@gmail.com

ABSTRACT

This research examines the phenomenon of family disintegration in modern society from a Quranic analytical perspective, moving beyond traditional descriptive methods toward an applied approach. The research problem lies in the inadequacy of purely material and legal approaches to curbing rising family disintegration rates, highlighting the urgent need to activate the Quranic value system as a sustainable solution. The study adopts an inductive-analytical methodology to identify contemporary drivers of family fragmentation, such as the negative impacts of consumerism, marital mutism resulting from digital isolation, and the breach of privacy via cyberspace and external interventions. The study concludes that the Quranic methodology offers more than mere moral advice; it proposes an integrated "family security strategy" that begins with prevention through awareness-building preparation, proceeds to rational conflict management family arbitration, and concludes with the ethics of "honorable separation" Tansih bi-Ihsan to protect children from conflict impacts. The research recommends institutionalizing "Quranic Arbitration" in modern family courts and implementing mandatory pre-marital counseling programs as a legal prerequisite to ensure sustainable societal cohesion.

Keywords: Family Disintegration, Quranic Treatment, Marital Mutism, Family Arbitration, Honorable Separation.

المعالجة القرآنية لدوافع التفكك الأسري: مقاربة تحليلية لواقع المجتمع الحديث

فراس مسلم سالم الزبيدي
المديرية العامة لتربية ديالى- العراق
firas.m.zubaidi@gmail.com

المستخلص

يستهدف هذا البحث دراسة ظاهرة التفكك الأسري في واقع المجتمع الحديث من منظور قرآني تحليلي، متجاوزاً المنهج الوصفي التقليدي إلى المقاربة التطبيقية. تكمن مشكلة البحث في قصور المقاربات المادية والقانونية البحتة في الحد من تصاعد معدلات التفكك الأسري، والحاجة إلى تفعيل المنظومة القيمية القرآنية كحل مستدام. اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي لرصد الدوافع المعاصرة للتفكك، كالانعكاسات السلبية للنزعة الاستهلاكية، والخرس الزوجي الناتج عن العزلة الرقمية، واختراق الخصوصية عبر الفضاء السيبراني والتدخلات الخارجية. توصلت الدراسة إلى أن المنهج القرآني لا يقدم حلولاً وعظية مجردة، بل يطرح "استراتيجية أمن أسري" متكاملة تبدأ بالوقاية عبر بناء الوعي التهيئة، وتمر بالإدارة العقلانية للنزاع التحكيم الأسري، وتنتهي بأخلاقيات "التسريح بإحسان" التي تحمي الأبناء من آثار الصراعات. يوصي البحث بضرورة مأسسة "التحكيم القرآني" في المحاكم الأسرية المعاصرة، وإقرار برامج تأهيل إلزامية للمقبلين على الزواج كشرط قانوني لضمان استدامة التماسك المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: التفكك الأسري، المعالجة القرآنية، الخرس الزوجي، التحكيم الأسري، التسريح بإحسان.

المقدمة

تشكل الأسرة في الرؤية المعرفية القرآنية النواة المركزية والمحضن الأول لبناء العمران البشري، حيث أرسى القرآن الكريم دعائمها على أسس متينة من "السكن"، و"المودة"، و"الرحمة"، جاعلاً منها مؤسسة فطرية تتجاوز مفهوم العقد المدني المادي لتصل إلى مرتبة "الميثاق الغليظ". وقد اعتبرت الشريعة الإسلامية حفظ نظام الأسرة واستقرارها مقصداً كلياً من مقاصدها العليا، إذ لا يمكن تصور استقرار مجتمعي شامل بمعزل عن التماسك الأسري الذي يضمن التنشئة السوية للأجيال ويمثل خط الدفاع الأول ضد الأزمات الأخلاقية والاجتماعية[1].

ومع التحولات الجذرية التي يشهدها المجتمع الحديث في عصر الثورة الرقمية والعولمة الثقافية، تعرضت البنية الأسرية لهزات عنيفة أفرزت واقعاً اجتماعياً معقداً. فقد أدت النزعة الفردانية، وتصاعد النمط الاستهلاكي، والانفتاح غير المنضبط على الفضاءات الافتراضية، إلى إحداث خلل عميق في منظومة القيم التي تحكم العلاقات الزوجية. ولم يعد "التفكك الأسري" Family Disintegration مقتصراً على الانفصال القانوني أو الطلاق المادي فحسب، بل اتسع ليشمل ظواهر معاصرة أشد خطراً، مثل "الطلاق العاطفي" أو "الخرس الزوجي"، حيث يعيش الزوجان اغتراباً نفسياً وقطيعة شعورية تحت سقف واحد نتيجة هشاشة الروابط الإنسانية وسيولة العلاقات في العصر الحديث[2].

وبالرغم من الجهود الحثيثة التي تبذلها المؤسسات الاجتماعية، والتشريعات القانونية الوضعية، وبرامج الإرشاد النفسي المعاصرة للحد من هذه الظاهرة، إلا أن المقاربات المادية البحتة أثبتت قصوراً واضحاً في معالجة الجذور العميقة للتفكك الأسري. ويعزى هذا القصور إلى تعامل تلك المقاربات مع الأعراض والنتائج كالنزاعات المالية أو القانونية وإغفالها للبعد الروحي والأخلاقي الذي يمثل صمام الأمان الحقيقي للأسرة[3]. من هنا، تبرز الحاجة الماسة إلى إعادة استنطاق النص القرآني وتقديم معالجاته بآليات عصرية، لا بوصفه نصاً تاريخياً، بل باعتباره منهجاً شاملاً يمتلك من المرونة والشمول ما يؤهله لتقديم حلول استباقية وعلاجية لأعقد المشكلات المعاصرة.

تتحدد **مشكلة البحث** في الإجابة عن التساؤل الجوهري الآتي: ما هي الدوافع المعاصرة المؤدية إلى التفكك الأسري في واقعنا الحديث، وكيف يمكن توظيف المعالجات القرآنية لتفكيك هذه الدوافع وتقديم حلول تطبيقية تساهم في استدامة التماسك الأسري؟

وتتجلى **أهمية البحث** في كونه يتجاوز السرد الوصفي التقليدي للنصوص القرآنية، ليقدم "مقاربة تحليلية" تربط بين النص الثابت والواقع المتغير. فهو يسعى إلى تجسير الهوة بين الدراسات القرآنية وعلم الاجتماع الأسري المعاصر، مقدماً للباحثين والمشرعين ومراكز الإرشاد الأسري مادة علمية رصينة تستمد قوتها من قدسية النص القرآني وواقعية التطبيق الحديث، مما يساهم في بناء استراتيجية متكاملة وقائية وعلاجية تحمي كيان الأسرة من التصدع.

منهجية البحث Research Methodology

لتحقيق أهداف البحث والإجابة عن تساؤلاته، تم الاعتماد على منهجية علمية مركبة تتناسب مع طبيعة الدراسات البينية Interdisciplinary، وتتوزع على المناهج الآتية:

1. **المنهج الاستقرائي:** تم توظيفه لتتبع واستقراء الآيات القرآنية الكريمة التي تناولت بناء الأسرة، وأسباب النزاع الزوجي، وطرق معالجتها، وجمعها في سياق موضوعي واحد.
2. **المنهج التحليلي الاستنباطي:** استُخدم لتفكيك الدلالات القرآنية والمفاهيم الواردة في الآيات المستقراة، واستنباط القواعد الكلية والضوابط الأخلاقية والتشريعية منها.
3. **المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي:** تم الاعتماد عليه في رصد واقع المجتمع الحديث وتوصيف دوافع التفكك الأسري المعاصرة، ثم ربط هذه الوقائع بالاستنباطات القرآنية لبيان مدى فاعلية المعالجة القرآنية وقابليتها للتطبيق كحلول واقعية ومستدامة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي ورصد الواقع المجتمعي التأسيس الإحصائي

يُخصص هذا المبحث لبناء أرضية البحث من خلال إثبات وجود المشكلة وتوصيفها علمياً قبل طرح الحلول.

المطلب الأول: المفهوم القرآني للأسرة مقابل المفاهيم المادية الحديثة

تحليل دلالات "السكن"، "المودة"، "الرحمة"

تنطلق الرؤية القرآنية في تأسيسها لكيان الأسرة من منظور يتجاوز الأبعاد البيولوجية والمادية البحتة، لتضفي على العلاقة الزوجية طابعاً قدسياً وروحياً يجعل منها "ميثاقاً غليظاً". وفي المقابل، تتبنى النماذج المادية الحديثة فهماً اختزالياً للأسرة، حيث تقاربها بوصفها مجرد "عقد اجتماعي" أو شراكة نفعية غايتها تلبية الاحتياجات الفردية المتبادلة.

وفي ظل سيادة الفلسفة المادية والنماذج الاستهلاكية، تحولت العلاقة الزوجية في كثير من المجتمعات المعاصرة إلى علاقة "تعاقدية نفعية" تخضع لمعايير الربح والخسارة، وتتسم بالهشاشة وسرعة التفكك بمجرد انتفاء المنفعة المادية أو تصادم الرغبات الفردية، حيث أصبحت الفردانية Individualism هي المركز الذي تدور حوله العلاقات الإنسانية، مما أفقد الأسرة وظيفتها التراحمية[4].

على النقيض من هذه الرؤية التعاقدية، يقدم القرآن الكريم وثيقة التأسيس الأسري الشاملة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]. إن التأمل التحليلي في هذه الآية يبرز ثلاث ركائز مفاهيمية تشكل الحصن المنيع ضد التفكك الأسري متى ما تم تفعيلها واقعياً:

أولاً: دلالة "السكن" الاحتواء النفسي والروحي

يُشير الجذر اللغوي لكلمة "السكن" إلى زوال الحركة والاضطراب، وحصول الثبات والطمأنينة بعد القلق[5]. ولم يقل النص القرآني "لتسكنوا معها" بل قال: ﴿لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾، وفي تضمين الفعل بحرف الجر إلى دلالة عميقة على الانجذاب النفسي، واللجوء العاطفي، والافتقار الفطري للآخر. فالسكن هنا ليس مجرد الإيواء المكاني House، بل هو الاستقرار والملاذ النفسي Home الذي يعصم الإنسان من قلق الحياة واضطراباتها. وهذا المفهوم يفكك النظرة المادية التي تحصر نجاح الزواج في توفير المسكن المادي والرفاه الاقتصادي، ليؤكد أن غياب "السكن النفسي" هو أولى خطوات الاغتراب وتأسيس مسارات التفكك.

ثانياً: دلالة "المودة" المحبة الإيجابية الفاعلة

تختلف "المودة" في الدلالة القرآنية عن مجرد الحب العاطفي الميل القلبي الذي قد يكون خفياً أو متقلباً وتصرفهُ الانفعالات. فالمودة هي الحب الذي يُترجم إلى سلوك عملي، وعطاء، ولطف في المعاملة، وتنازل متبادل. إنها الجهد الإيجابي المبذول من كلا الطرفين لإسعاد الآخر، وهي تقابل في الدراسات الاجتماعية الحديثة مصطلح "التواصل الإيجابي الفعال" Effective Positive Communication. وفي حين يعتمد النموذج المادي على استمرارية "الشغف الانفعالي" المؤقت كأساس لبقاء العلاقة، يؤسس القرآن للمودة كقيمة أخلاقية راسخة تُبنى بالمعاشرة بالمعروف[6].

ثالثاً: دلالة "الرحمة" صمام الأمان عند الأزمات

تمثل الرحمة المظلة الواقية للأسرة عندما تفتر المودة أو تشتد ضغوط الحياة. وتتجلى فاعليتها القصوى في مراحل الضعف البشري، كحالات المرض، أو التقدم في السن، أو المرور بضائقة مالية؛ فهنا تتوارى المنفعة المادية التي يقوم عليها العقد الحديث، وتبرز الرحمة كطاقة أخلاقية تدفع الزوجين للصبر، والتجاوز عن الزلات، والإيثار. إن إقران المودة بالرحمة يشير إلى تكامل وقائي وعلاجي؛ فما تعجز المودة عن حله في أوقات الخلاف والفتور العاطفي، تتكفل الرحمة باحتوائه وجبره، مما يمنع انزلاق الأسرة نحو التفكك والانهيار[6].

يتضح مما سبق أن المفهوم القرآني للأسرة يبني كياناً تكاملياً ذا أبعاد روحية وأخلاقية، يمتلك مرونة عالية لامتصاص الصدمات التي تفرضها تعقيدات الحياة المعاصرة، خلافاً للنموذج المادي الذي يترك الأسرة هشة ومكشوفة أمام أول اختبار للضغوط أو اختلاف المصالح.

المطلب الثاني: رصد ظاهرة التفكك الأسري المعاصر

تجاوز التفكك الأسري في العصر الحديث كونه حالات فردية استثنائية ليتحول إلى "ظاهرة سوسيولوجية" مقلقة تهدد البناء الديموغرافي والأخلاقي للمجتمعات. ورغم التقدم المادي والتكنولوجي الهائل، ووفرة برامج الرعاية الاجتماعية، إلا أن الأسرة المعاصرة تعيش حالة من الهشاشة غير المسبوقة، مما يستدعي الانتقال من التنظير المجرد إلى قراءة الواقع بلغة الأرقام وتحليل مخرجاته.

أولاً: المؤشرات الإحصائية لظاهرة التفكك الأسري عالمياً ومحلياً

على المستوى العالمي، تشير تقارير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD إلى ارتفاع مطرد في معدلات الطلاق داخل الدول الصناعية الكبرى، حيث تصل النسب في بعض الدول الأوروبية والأمريكية إلى أكثر من 40% من إجمالي حالات الزواج، وهو ما يعكس مفارقة واضحة: إن الرفاه الاقتصادي والمنظومات القانونية الصارمة لم تفلح في تحقيق الاستقرار الأسري، بل ترافقت مع تصاعد نزعة الفردانية التي فككت الروابط الأسرية[7].

وعلى المستوى العربي والمحلي، تدق المؤشرات ناقوس الخطر. فعلى سبيل المثال، أظهرت الإحصائيات الرسمية الصادرة عن مجلس القضاء الأعلى في العراق تصاعداً مخيفاً في معدلات الطلاق، حيث تسجل المحاكم شهرياً آلاف الحالات بمعدل يقارب أو يتجاوز 6,000 حالة طلاق شهرياً في السنوات الأخيرة، نسبة كبيرة منها تقع في السنوات الأولى من الزواج، فضلاً عن حالات التفريق الناتجة عن تعنيف أو هجر[8]. هذه الأرقام، التي تتقاطع مع نظيراتها في العديد من الدول العربية، ليست مجرد بيانات إحصائية، بل هي انعكاس لانهيار منظومة "السكن والمودة" التي أشار إليها النص القرآني، وتحول الزواج إلى مؤسسة هشة لا تقوى على الصمود أمام التحديات الاقتصادية، والاختراقات الثقافية عبر الفضاء الرقمي، وضعف الوعي بمسؤوليات الميثاق الغليظ.

ثانياً: قصور الحلول القانونية المجردة عن الروح الأخلاقية

في مواجهة هذه الأرقام المفزعة، اتجهت الدول الحديثة إلى معالجة الأزمة عبر ترسانة من التشريعات والقوانين الوضعية التي تنظم شؤون الأسرة. إلا أن القراءة التحليلية لواقع المحاكم الأسرية تثبت قصور هذه المقاربة؛ فالقانون الوضعي بطبيعته يمتلك "قوة إجبارية" Coercive Power قادرة على فرض النفقة، أو تحديد الحضانة، أو إيقاع التفريق، لكنه يفتقر تماماً إلى "الروح الأخلاقية" Moral Spirit القادرة على إصلاح النفوس وترميم العلاقة.

لقد عملت الحداثة القانونية على تحويل النزاع الأسري من "أزمة أخلاقية وروحية" تتطلب تدخلاً قيمياً وإصلاحياً، إلى "نزاع تعاقدي مادي" يدور حول الحقوق والالتزامات المالية فقط. وفي هذا السياق، يغيب مفهوم "التراحم" ليحل محله مفهوم "التقاضي الندي"؛ فالمحاكم الحديثة تُصمم لإنهاء العلاقة بأقل الخسائر المادية الممكنة، لا لإنقاذها[9].

هذا العجز البنيوي في القانون الوضعي يبرز الحاجة الملحة للعودة إلى المقاربة القرآنية. فالقرآن الكريم لم يكتفِ بوضع تشريعات جامدة، بل غلّف جميع أحكام الأسرة من خطبة، وزواج، ونشوز، وطلاق بإطار كثيف من التقوى والرقابة الإلهية مثل تكرار الأمر بالتقوى في سورة الطلاق. فالمعالجة القرآنية تسبق القانون بالوقاية الأخلاقية، وترافقه بالوعظ والإرشاد التحكيم الأسري الداخلي، ولا تلجأ إلى القضاء كآلية فصل إلا بعد استنفاد كافة آليات "الإصلاح الداخلي" القائمة على العفو والفضل، وهو ما تفتقر إليه المؤسسات القانونية المعاصرة التي تتعامل مع مؤسسة الزواج كأي شركة تجارية قابلة للتصفية.

المبحث الثاني: الدوافع المعاصرة للتفكك الأسري وعلاجها في ضوء القرآن

يُمثل هذا المبحث الجوهر التطبيقي للبحث، حيث ينتقل من الإطار المفاهيمي إلى التنزيل الواقعي. ويعتمد في بنيته على منهجية تحليلية مركبة؛ تبدأ بتشخيص المشكلة المعاصرة وتفكيك أبعادها السوسيولوجية والنفسية، ثم تنتقل إلى المعالجة القرآنية بوصفها منظومة قيمية وتشريعية قادرة على تقديم حلول مستدامة تتجاوز معالجة الأعراض السطحية إلى استئصال الجذور المسببة للنزاع.

المطلب الأول: الدوافع المادية والضغوط الاقتصادية

لم تعد الأسرة المعاصرة تعيش في معزل عن التحولات الاقتصادية العالمية القائمة على فلسفة السوق والمنفعة المادية. فقد تسللت هذه التحولات إلى صميم العلاقات العائلية، محولةً إياها في كثير من الأحيان من بيئة للتراحم إلى ساحة للصراع المادي. ويقتضي المنهج التحليلي تفكيك هذا الدافع عبر استعراض الواقع أولاً، ثم بيان المعالجة القرآنية له.

أولاً: الواقع تأثير النزعة الاستهلاكية وضغوط الحياة على استقرار الأسرة

إن القراءة السوسيولوجية لواقع الأسرة في العصر الحديث تكشف عن تحول خطير في وظيفتها؛ فقد انتقلت من كونها "وحدة إنتاجية متماسكة" إلى "وحدة استهلاكية شرهة". وفي ظل هيمنة ثقافة الاستهلاك Consumer Culture، لم تعد السعادة الزوجية تُقاس بمدى الاستقرار العاطفي أو التوافق الروحي، بل ارتبطت في الذهنية الجمعية بمستوى الإشباع المادي والقدرة على مجاراة أنماط الحياة التي تروج لها وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي[10].

لقد خلقت منصات التواصل الاجتماعي حالة مستمرة من "المقارنة الاجتماعية السلبية" Social Comparison. فالتعرض اليومي لصور الحياة المرفهة والكماليات التي يعرضها الآخرون، يؤدي إلى تحويل الرغبات والكماليات إلى احتياجات أساسية في نظر الزوجين. هذا الخلل في ترتيب الأولويات يولد حالة من السخط الدائم، والشعور بالنقص، وعدم الرضا عن الواقع المَعيش. وعندما يصطدم هذا السطوع الاستهلاكي بمحدودية الدخل المادي للأسرة، تنشأ الضغوط النفسية والاقتصادية التي سرعان ما تتحول إلى صراعات زوجية حادة.

وتُشير الدراسات النفسية إلى أن "الضغط المالي" Financial Stress يمثل أحد أبرز الدوافع المباشرة للطلاق حول العالم. فالعجز عن تلبية المتطلبات المتزايدة يؤدي إلى شعور الزوج المُعيل بالعجز والإحباط، مما يدفعه إما للانسحاب العاطفي أو الانفعال الحاد، بينما تشعر الزوجة بالحرمان والظلم، ليتلاشى تدريجياً مفهوم "السكن" وتحل محله الاتهامات المتبادلة بالتقصير[11]. وهكذا، تُصبح الأسرة ضحية لنسق اقتصادي مادي يُقيّم الإنسان بما يملك، لا بما يحمل من قيم وأخلاق.

ثانياً: المعالجة القرآنية تفكيك الأزمة وبناء الوعي الاقتصادي للأسرة

لا يتعامل القرآن الكريم مع الأزمات الاقتصادية للأسرة بوصفها مشكلات حسابية بحتة تُحل بزيادة الدخل المادي فقط، بل يعالجها كأزمة "وعي" و"قيم" بالدرجة الأولى. وتتأسس المعالجة القرآنية للضغوط المادية على ثلاثة مفاهيم محورية تعيد بناء الرؤية الاقتصادية للأسرة:

1. المفاهيم القرآنية للإنفاق وإدارة الموارد الترشيد وضبط الرغبات:

يُعالج القرآن جذور النزعة الاستهلاكية من خلال تأسيس منهجية وسطية صارمة في الإنفاق، تعصم الأسرة من السقوط في فخ الديون المتراكمة التي تُدمر البيوت. يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]. ويقول موجهاً النبي ﷺ وهو في قمة بناء الأسرة المسلمة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29].

هذا التوجيه القرآني يُمثل حائط صد ضد ثقافة الاستهلاك؛ فهو يربط عملية الشراء والإنفاق بالعقلانية والاعتدال، ويفصل بوضوح بين "الحاجة الحقيقية" و"الرغبة الزائفة". إن تطبيق هذا المبدأ يحمي الأسرة من الانهيار تحت وطأة القروض الاستهلاكية المظاهرية البطاقات الائتمانية وقروض الكماليات التي باتت سبباً رئيسياً في تدمير الاستقرار الزوجي الحديث. فالقرآن يُحرر إرادة الزوجين من عبودية الأشياء والمقارنات الاجتماعية، ليؤسس لقناعة داخلية تكتفي بالمتاح وتدير الموارد بحكمة[12].

2. القوامة التكليفية لا التشريفية إعادة تعريف الأدوار والمسؤوليات:

من أبرز الإشكاليات المعاصرة التي تفاقم النزاع المادي هو الفهم المغلوط لمفهوم "القوامة". فالنماذج الذكورية المشوهة تراها "سلطة استبدادية وتشريفاً"، بينما تراها الحركات النسوية الراديكالية "إلغاءً لشخصية المرأة". إلا أن المعالجة القرآنية تضع القوامة في إطارها الصحيح بوصفها "تكليفاً وظيفياً وإدارياً" يهدف إلى حماية الأسرة، وتحديداً حمايتها من التصدع المادي.

يقول تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: 34]. فالقوامة هنا ارتبطت صراحة بالإنفاق المادي بما أنفقوا لتجعل من الرجل جدار الحماية الأول الذي يمتص الصدمات الاقتصادية، مما يرفع عن المرأة عبء القلق المادي الإلزامي ليتسنى لها التفرغ للبناء النفسي والتربوي وإن شاركت مالياً فهذا من باب الفضل لا الفرض.

إن إدراك الزوجين بأن القوامة هي "مسؤولية رعاية وخدمة للأسرة" وليست "أداة قهر"، يجعل الزوج أكثر تفانياً في السعي دون تحميل زوجته إحباطاته، ويجعل الزوجة أكثر تقديراً لجهد زوجها وأكثر صبراً في أوقات الشدة الاقتصادية، مما يقضي على ظاهرة التمرد أو الشعور بالنقص التي تغذيها الضغوط المالية[13].

3. مفهوم البركة والتكافل الزوجي المنظور النوعي مقابل المنظور الكمي:

في حين يعتمد العقل المادي الحديث على الأرقام المجردة لحساب نجاح الأسرة المادي المنظور الكمي، يقدم القرآن الكريم مفهوماً نوعياً غاية في الأهمية، وهو مفهوم "البركة". البركة في الرؤية القرآنية تعني النماء والكفاية وحصول الطمأنينة بالشيء وإن كان قليلاً، وهي مرتبطة ارتباطاً شرطياً بالتقوى والانسجام الروحي. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

استحضار "البركة" كقيمة اقتصادية ونفسية يعالج القلق المادي الذي يمزق الأسر. فالزوجان اللذان يمتلكان وعياً قرآنياً يدركان أن السعادة ليست في تراكم الثروة، بل في استثمار المتاح برضا وحب.

ويتجلى هذا في مفهوم "التكافل الزوجي" وقت الأزمات؛ فالقرآن حين وصف العلاقة بقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: 187]، جعل كل طرف ساتراً وحامياً للآخر. فإذا ما تعرض الزوج لضائقة مالية قاهرة كفقدان وظيفة أو خسارة تجارة، فإن المرجعية القرآنية تنقل الأسرة فوراً من مربع المطالبة بالحقوق الفردية إلى مربع التضامن والمواساة والتكافل. فتعمل الزوجة على ستر عجز زوجها، وتخفيض سقف النفقات، وربما الدعم بمالها الخاص كفعل خديجة رضي الله عنها مع النبي ﷺ، مما يحول الأزمة المادية من "معول هدم" يفرق الأسرة، إلى "بوتقة انصهار" تزيد من متانة الرابطة الزوجية وعمقها[14].

أن القرآن الكريم لا يعالج الفقر أو الضغوط المادية بضخ الأموال، بل عبر بناء عقلية أسرية مقاومة لثقافة الاستهلاك التافهة، وتنظيم للأدوار عبر القوامة التكليفية يمنع التصادم، واستدعاء لقيمة البركة والتكافل التي تخلق درعاً نفسياً يحمي الأسرة من الانهيار أمام العواصف الاقتصادية الحديثة.

المطلب الثاني: الخرس الزوجي والتواصل السلبي

إذا كانت الضغوط المادية تمثل التهديد الخارجي لبنية الأسرة، فإن "الخرس الزوجي" وانعدام التواصل الفعال يمثلان سوساً داخلياً ينخر في الجسد الأسري حتى يسقطه. في هذا المطلب، ننتقل من دراسة الأزمات المادية إلى تحليل الأزمات النفسية والاتصالية، والتي تفاقمت بشكل غير مسبوق في العصر الرقمي، محولةً مفهوم "السكن" إلى حالة من الاغتراب تحت سقف واحد.

أولاً: رصد الواقع وتحليله أثر وسائل التواصل الاجتماعي والعزلة الرقمية

يعرف علم الاجتماع الأسري المعاصر ظاهرة "الخرس الزوجي" Marital Mutism بأنها حالة من الانقطاع شبه التام للتواصل اللفظي والعاطفي بين الزوجين، حيث تقتصر لغة الحوار بينهما على تمرير الأوامر اللوجستية اليومية شراء الاحتياجات، دفع الفواتير، توصيل الأبناء، مع غياب تام للحوار الوجداني، أو مشاركة الاهتمامات، أو الفضفضة النفسية. وفي هذا الواقع، يتحول الزواج من "شراكة روحية" إلى "مؤسسة إدارية صامتة"[15].

1. الاستلاب التقني وبروز "الشريك الثالث":

مع الانفجار التقني وهيمنة الهواتف الذكية، لم تعد العزلة تتطلب انفصالاً مكانياً، بل ظهر ما يُعرف بـ "العزلة الرقمية" Digital Isolation داخل غرفة المعيشة الواحدة. لقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي بمثابة "الشريك الثالث" الخفي في السرير الزوجي وعلى مائدة الطعام. وتصف عالمة الاجتماع الأمريكية شيري توركل هذا الواقع المعاصر بمصطلح "معاً ولكن وحيدون" Alone Together؛ حيث يجلس الزوجان متجاورين جسدياً، لكنهما في واقع الأمر يسبحان في فضاءات سيبرانية منفصلة، يتواصلان مع الغرباء في قارات أخرى، ويعجزان عن قراءة ملامح الحزن أو الفرح في وجه الشريك الذي يبعد عنهما سنتيمترات قليلة[16].

2. ظاهرة "التجاهل الرقمي" Phubbing وأثرها النفسي:

أفرزت هذه العزلة ظاهرة نفسية مدمرة تُعرف اصطلاحاً بـ Phubbing، وهي نحت لغوي من كلمتي Phone و Snubbing، وتعني تعمد تجاهل الشريك والانشغال عنه بشاشة الهاتف أثناء تواجده أو حديثه. أثبتت الدراسات النفسية الحديثة أن هذا التجاهل المتكرر يرسل إشارات عصبية سلبية لدماغ الشريك المهمل، تترجم كرسائل رفض وإقصاء Rejection. هذا الشعور بـ "انعدام الأهمية" يولد جروحاً نرجسية عميقة، تدفع الطرف المتضرر إما إلى الانسحاب والانطواء مما يعمق الخرس الزوجي، أو إلى تبني سلوك عدواني سلبي Passive-Aggressive يتجلى في الانفعال المبالغ فيه على أتفه الأسباب كوسيلة لاشعورية لطلب الانتباه وإثبات الوجود[17].

3. التواصل السلبي ووهم المثالية الافتراضية:

إلى جانب الخرس، يبرز "التواصل السلبي" كأداة هدم، ويتمثل في النقد المستمر، والسخرية، والتهرب من المسؤولية. وقد ساهمت شبكات التواصل الاجتماعي في تغذية هذا التواصل السلبي من خلال تصدير "وهم المثالية"؛ حيث يُقارن الزوج زوجته بصور "الفلاتر" والمؤثرات، وتقارن الزوجة زوجها بالرومانسية المصطنعة التي يعرضها المشاهير بلوغرز. هذه المقارنات المستمرة ترفع سقف التوقعات إلى مستويات خيالية، مما يجعل الواقع اليومي للزواج يبدو باهتاً ومخيباً للآمال، فينتهي الأمر بالزهد العاطفي والهروب مجدداً إلى الشاشات.

ثانياً: المعالجة القرآنية منهجية الحوار وآليات الاحتواء النفسي

في مواجهة هذا التصحر العاطفي والاغتراب الرقمي، لا يقدم القرآن الكريم مجرد نصائح عامة، بل يؤسس لـ "هندسة اتصالية" متكاملة تعيد تشكيل العقل والوجدان الزوجي. وتتحرك المعالجة القرآنية للخرس الزوجي والتواصل السلبي عبر مسارين متوازيين: مسار الحوار الإيجابي، ومسار الاحتواء النفسي عند الأزمات.

1. المنهجية القرآنية لإدارة الحوار الزوجي إعادة اكتشاف الآخر:

يُعد الحوار في النسق القرآني قيمة وجودية عليا؛ فالله عز وجل حاور الملائكة، وحاور الأنبياء، بل وحاور إبليس. وإذا كان الحوار هو أداة التواصل بين الخالق والمخلوق، فهو في العلاقة الزوجية أداة الحياة. لتفكيك العزلة الرقمية، يطرح القرآن الآليات الآتية:

- **الإنصات المتعاطف إقرار حق الشكوى:**

لا يمكن فك شفرة الخرس الزوجي إلا بضمان وجود أذن صاغية وآمنة. يوثق القرآن الكريم في سورة المجادلة حادثة في غاية الأهمية لتأسيس سيكولوجية الاستماع؛ يقول تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1]. إن استجابة السماء لشكوى امرأة مكلومة خولة بنت ثعلبة ليست مجرد تشريع لإنهاء حكم الظهار، بل هي تأسيس لمبدأ

"الاحتواء بالإنصات". إن تخصيص مساحة زمنية للاستماع إلى آلام الشريك وتفاصيل يومه دون مقاطعة أو إصدار أحكام سريعة، يمثل المعادل الموضوعي الذي يقضي على ظاهرة "التجاهل الرقمي". القرآن يعلمنا أن الاستماع لشكوى الشريك هو عبادة وقربة، وليس عبئاً ثقيلاً[18].

- **مبدأ "التشاور" كنمط حياة بديل للانعزال:**

لمواجهة الفردانية والانعزال في اتخاذ القرار والذي يعد من مسببات الخرس، أرسى القرآن مبدأ التشاور كأداة لكسر الحواجز وتفعيل التواصل. العجيب في النسق القرآني أنه استدعى مبدأ التشاور في أشد حالات الخلاف انفصال الزوجين أو فطام الطفل، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: 233]. والاستنباط التحليلي هنا يقول: إذا كان القرآن يشترط التراضي والتشاور في لحظات التفكك والانفصال لضمان عدم الإضرار بالأبناء، فكيف يكون الحال في لحظات الرخاء وبناء الأسرة؟ إن تفعيل التشاور اليومي حتى في صغائر الأمور يكسر الجليد العاطفي، ويُشعر كلا الطرفين بشراكته الحقيقية، ويلغي شعور التهميش الذي تفرزه الهواتف الذكية[19].

2. آليات الاحتواء النفسي في أوقات الأزمات والضغوط:

عندما تفشل وسائل التواصل، أو عندما يندلع الخلاف بسبب تراكمات العزلة والضغوط، تبرز قيمة "التواصل الإيجابي" في إدارة الأزمة. فالزواج ليس خالياً من الخلافات، ولكن القرآن يقدم آليات لاحتواء الانفعال ومنع تطوره إلى قطيعة، وتتمثل في:

- **استراتيجية "استحضار الكليات التراحمية" وقت الغضب:**

من أبرز عيوب التواصل السلبي هو "الرؤية النفقية" Tunnel Vision؛ حيث يركز الشريك وقت الغضب على عيب واحد في الطرف الآخر ويمحو كل تاريخه الإيجابي. هنا يتدخل القرآن ليعيد برمجة الإدراك المعرفي للزوجين بقوله: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19]. هذا التوجيه النفسي العميق يفرض على الإنسان التوقف عن شيطنة الشريك وقت النزاع، والنظر إلى "الصورة الكلية" التي تحتوي على الكثير من الخير. هذه الاستراتيجية المعرفية تبرّد المشاعر السلبية، وتطفئ نار الانفعال، وتفتح الباب للاحتواء بدلاً من التصعيد[20].

- **قاعدة "دفع السيئة بالتي هي أحسن" لكسر دائرة العناد:**

يتغذى التواصل السلبي على مبدأ "الندية برد الفعل" العين بالعين، وهذا ما يحول البيت إلى ساحة حرب. يكسر القرآن هذه السلسلة المدمرة بتشريع أخلاقي راقٍ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]. في سياق العلاقة الزوجية، يعني هذا "الذكاء العاطفي" المتمثل في امتصاص غضب الشريك بردة فعل معاكسة لتوقعاته كرد الكلمة القاسية بابتسامة، أو الغضب بالصمت الحليم. هذا الدفع بالتي هي أحسن يفكك دفاعات الشريك النفسية، ويشعره بالخجل من موقفه، فيتحول النزاع إلى فرصة للتقارب.

- **هندسة الكلمة و"قولاً كريماً":**

يولي القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بـ "الكلمة" كأداة لصناعة الواقع النفسي. في مواجهة التجريح اللفظي والانتقاد اللاذع الذي يعد سمة للتواصل السلبي، يوجه القرآن إلى انتقاء الألفاظ بعناية فائقة. مصطلحات مثل: ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾، ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ليست مجرد محسنات بديعية، بل هي أوامر تشريعية لإدارة دفة الحوار. إن التعبير عن الاحتياجات المكبوتة I-Statements بدلاً من You-Statements كما في علم النفس الحديث بلغة خالية من اللوم والاتهام، يضمن وصول الرسالة دون استثارة ميكانيزمات الدفاع النفسي لدى الشريك.

- **حفظ خط الرجعة:**

حتى في أوج الأزمات، يقف الجزء من الآية ﴿**وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**﴾ [البقرة: 237] كحارس أخلاقي يمنع الفجور في الخصومة. إن استحضار "الفضل" وهو ما زاد على الواجب من المواقف النبيلة والذكريات الطيبة بين الزوجين يمثل طوق النجاة الأخير الذي يمنع العزلة الرقمية والخرس الزوجي من التحول إلى طلاق فعلي. إنه تذكير بأن ما يجمعكما أكبر من الموقف الآني الذي تختلفان عليه.

خلاصة:

إن المعالجة القرآنية للقطيعة العاطفية في عصر التكنولوجيا لا تعني مقاطعة الحداثة أو التخلص من الهواتف الذكية، بل تعني إعادة ترتيب الأولويات ووضع حدود أخلاقية للتقنية. فاستبدال "العزلة الرقمية" بـ "الإنصات المتعاطف"، و"التواصل السلبي" بـ "الاحتواء التشاوري"، يمثل طوق النجاة الذي يعيد بناء جسور المودة، ويجعل من الأسرة ملاذاً آمناً يتخطى فيه الزوجان صقيع الواقع الافتراضي إلى دفء السكن القرآني.

المطلب الثالث: غياب الخصوصية والتدخلات الخارجية

يُعد مفهوم "الخصوصية" Privacy أحد أهم المحددات التي تضمن استقلالية الأسرة وديمومتها. فالأسرة في جوهرها هي "وحدة مغلقة" ذاتياً، تمتلك أسرارها، وقوانينها الداخلية، ومساحتها الحميمية التي لا يجوز اختراقها. إلا أن التحولات المجتمعية المعاصرة، المشفوعة بالثورة الرقمية والتشابكات العائلية المعقدة، أدت إلى تآكل هذه الحدود، مما جعل الأسرة كياناً مستباحاً أمام التدخلات الخارجية. يناقش هذا المطلب أبعاد هذه الظاهرة في الواقع الحديث، ثم يستنطق المعالجات القرآنية العميقة التي أرست جداراً منيعاً لحماية "حرمة البيت".

أولاً: رصد الواقع وتحليله اختراق الخصوصية في العصر الحديث

يشهد العصر الحديث تحولاً خطيراً يُطلق عليه علماء الاجتماع "انهيار الحدود بين العام والخاص" The Collapse of Boundaries between Public and Private. وقد اتخذ هذا الاختراق لخصوصية الأسرة مسارين رئيسيين، يغذي أحدهما الآخر: مسار افتراضي رقمي، ومسار واقعي عائلي واجتماعي.

1. المسار الافتراضي: تسليع الحميمية وفخ المؤثرين Influencers

في ظل هيمنة منصات التواصل الاجتماعي، برزت ظاهرة خطيرة تُعرف بـ "مجتمع الشفافية" The Transparency Society، حيث يتنازل الأفراد طواعية عن خصوصيتهم مقابل الحصول على الاعتراف الاجتماعي اللايكات والمتابعات. وقد قاد "مؤثرو السوشيال ميديا" Influencers حملة منظمة – بوعي أو بدون وعي – لـ "تسليع الحميمية" Commodification of Intimacy، حيث يتم تصوير وعرض أدق تفاصيل الحياة اليومية للأسرة: غرف النوم، الخلافات الزوجية المفتعلة، المفاجآت العاطفية، وحتى ولادة الأطفال[21].

هذا الانفتاح غير المحدود أفرز تداعيات مدمرة على استقرار الأسرة العادية، أبرزها:

- **تشوه المعيارية الزوجية:** أصبحت الأسرة تقارن واقعها الطبيعي الذي يحتمل الخطأ والنقص بالواقع الافتراضي "المُفلتر" والمثالي الذي يعرضه المؤثرون. هذه المقارنة تولّد حالة من السخط الدائم، والشعور بالدونية، مما يفتح الباب واسعاً للنزاعات.
- **استباحة الأسرار:** تيمناً بالمشاهير، باتت بعض الزوجات – أو الأزواج – تنشر تفاصيل حياتها، من الهدايا إلى الخلافات، في المجموعات الافتراضية Groups لطلب المشورة من مجهولين، مما يجعل أسرار البيت مشاعاً، ويدمر ثقة الشريك الذي يرى خصوصيته تُنتهك علانية[22].

2. المسار الواقعي: التدخلات العائلية والاجتماعية السلبية

لا يقتصر اختراق الخصوصية على الفضاء الرقمي، بل يتجلى بوضوح في العالم الواقعي من خلال التدخل السلبي لـ "الأسرة الممتدة" الأب، الأم، الإخوة أو محيط الأصدقاء في شؤون "الأسرة النووية" الزوج والزوجة. وتشير الإحصائيات في محاكم الأحوال الشخصية العربية إلى أن تدخل الأهل يمثل واحداً من أعلى ثلاثة أسباب مؤدية للطلاق المبكر[23].

تتخذ هذه التدخلات أشكالاً مدمرة تتمثل في:

- **إلغاء الوصاية المستقلة:** حيث ترفض بعض العائلات الاعتراف باستقلالية الكيان الجديد، وتصر على إدارة حياة الزوجين أين يسكنان، كيف ينفقان، متى ينجبان.
- **التحيز الأعمى العصبية العائلية:** عند حدوث أدنى خلاف طبيعي بين الزوجين، يتسرب الخبر إلى الأهل، فيتدخلون لا للإصلاح، بل لنصرة ابنهم أو ابنتهم بشكل عصبي Zero-sum game، مما يُصعّد الخلاف البسيط إلى صراع عشائري أو عائلي ينتهي بكسر العلاقة الزوجية التي كان يمكن ترميمها لو بقيت داخل الغرفة المغلقة.

ثانياً: المعالجة القرآنية بناء أسوار الحماية والحدود الأخلاقية

في مقابل هذه السيولة الحديثة واستباحة الخصوصيات، يقف النص القرآني كحارس صارم لمفهوم "الستر" و"حرمة البيت". ولا يكتفي القرآن بوضع تشريعات عامة، بل يقدم هندسة نفسية واجتماعية دقيقة تحدد مسافات الأمان بين الأسرة والمحيط الخارجي، وتبرز هذه المعالجة في مفاهيم كلية واستنباطات دقيقة من سورتي "النور" و"الحجرات".

1. المفهوم التأسيسي: حراسة الغيب وحفظ الأسرار الزوجية

قبل تنظيم علاقة الأسرة بالخارج، يؤسس القرآن لضمانة داخلية بين الزوجين، تتمثل في "الائتمان المطلق". يقول تعالى واصفاً السمة الأبرز للزوجة الصالحة والتي تنسحب بداهة على الزوج أيضاً: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: 34].

إن اختيار اللفظ القرآني الغيب هنا يحمل دلالات عميقة تتجاوز مجرد حفظ العرض في غياب الزوج. "الغيب" يشمل كل ما غاب عن أعين الناس من شؤون البيت: تفاصيل العلاقة الحميمية، الوضع المالي الحقيقي للأسرة، نقاط الضعف النفسية للشريك، والعيوب الجسدية التي لا يعلمها إلا هو. إن إفشاء هذه الأسرار – سواء للأهل أو على منصات التواصل – هو خيانة لـ "ميثاق حفظ الغيب". وفي السياق النبوي، شُبه من يفشي سره الزوجي بشيطان لقي شيطانة في الطريق فغشيها والناس ينظرون، في إشارة بليغة إلى البشاعة الأخلاقية لتحويل "الخاص/الخفي" إلى "عام/مكشوف"[24].

2. استنباطات وقائية من سورة النور: هندسة الاستئذان وحدود البصر

تُعد سورة النور "الدستور القرآني للخصوصية الاجتماعية"، حيث شرعت أحكاماً تفصيلية لحماية الأسرة من الاختراقات الخارجية، يمكن إسقاطها بقوة على واقعنا المعاصر:

- **فلسفة الاستئذان الانتقال من الاستئذان إلى الاستئناس:**

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: 27]. الملمح الإعجازي هنا هو استخدام لفظ ﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾ بدلاً من تستأذنوا. الاستئناس حالة نفسية أعمق من الاستئذان المادي؛ فهو يعني رفع الوحشة، والتأكد من استعداد أهل البيت نفسياً وشعورياً لاستقبال الخارج.

الإسقاط المعاصر: هذا المبدأ لا يقتصر على طرق الباب الخشبي، بل يمتد إلى المنع الصارم لتدخل الأهل في شؤون الزوجين دون طلب استئناس منهما. كما يمتد إلى "الاستئذان الرقمي"؛ فاختراق هاتف الشريك للتفتيش، أو التلصص على رسائله، هو دخول لـ "بيوت افتراضية" بغير استئناس، وهو تدمير صريح لقيمة الثقة والخصوصية[25].

- **غض البصر الوقاية من المقارنات المدمرة:**

في ذات السورة، يأتي الأمر: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: 30]. إن الفهم المقاصدي لغض البصر في العصر الرقمي يتجاوز غض البصر عن المحرمات الجسدية، ليشمل غض البصر عن حياة الآخرين. إن امتناع الزوجين عن تتبع حياة "المؤثرين" والمشاهير على إنستغرام أو تيك توك، وعدم النظر بفضول إلى ما متّع الله به الآخرين من زينة الحياة الدنيا، هو تطبيق عصري لغض البصر؛ لأنه يقي الأسرة من أمراض المقارنة، والغيرة، والشعور بالحرمان، ويحصر تركيز الزوجين في تنمية مساحتهما الخاصة بدلاً من التطفل على مساحات الآخرين[26].

- **محاصرة إشاعة الفاحشة رفض تطبيع النزاعات:**

من أخطر ما تنتجه وسائل التواصل هو اعتياد الناس على رؤية الخلافات الأسرية وفضائح الانفصال. القرآن يقطع هذا الطريق بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: 19]. وإشاعة الفاحشة تشمل كل قول أو فعل يكسر هيبة الرابطة الزوجية ويُطبّع الرذيلة أو الخيانة في المجتمع. إن نقل الخلافات الزوجية إلى الرأي العام، واستخدام السوشيال ميديا للتشهير بالشريك أثناء الطلاق، هو من أشد أنواع إشاعة الفاحشة التي تهدم قدسية الأسرة.

3. استنباطات علاجية من سورة الحجرات: تطهير البيئة التواصلية للأسرة

إذا كانت سورة النور تضع الحدود المكانية والبصرية، فإن سورة الحجرات تضع "الحدود الاتصالية والأخلاقية" التي تمنع البيئة الخارجية الأهل والمجتمع من تسميم العلاقة الزوجية:

- **حظر التجسس وسوء الظن تحصين الثقة الداخلية:**

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: 12]. الشك المفرط والتجسس سواء من أحد الزوجين على الآخر، أو من الأهل على حياة الزوجين هما المعول الأول لهدم الخصوصية. التجسس الرقمي المعاصر مراقبة المواقع، تتبع أوقات الاتصال Last Seen يخلق بيئة بوليسية خانقة تتنافى تماماً مع مفهوم السكن. القرآن يأمر بتغليب "حسن الظن" كأصل، ويحرم التجسس كآلية، لتبقى الأسرة واحة للأمان وليست زنزانة للمراقبة.

- **محاربة الغيبة والنميمة قطع طرق الإفساد الخارجي:**

تُعد النميمة والتدخلات الكلامية من أقارب الزوج أو الزوجة نقل الكلام المفسد من أشد أدوات التفكك. وقد شبه القرآن الغيبة بأبشع صورة: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾. إن التزام الزوجين ومحيطهما العائلي بهذا الأدب يقطع الطريق على "المفسدين" المُخبّبين الذين يسعون لإفساد الزوجة على زوجها أو العكس بنقل الأحاديث المشوهة والمقارنات السلبية[27].

- **منهجية "التبين" والتثبت من الأخبار:**

في حالات كثيرة، يُبنى التدخل السلبي للأهل على نقل خاطئ أو مبالغ فيه من أحد الزوجين وقت الغضب. هنا تتدخل القاعدة الذهبية في سورة الحجرات: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]. هذه الآية تُلزم الأهل إن تدخلوا بمنهجية التثبت وعدم الانجرار العاطفي وراء رواية طرف واحد. فالاندفاع وراء خبر غير دقيق وتصعيد الموقف بناءً عليه، غالباً ما ينتهي بندم شديد بعد خراب البيت.

خلاصة:

تتجاوز المعالجة القرآنية لغياب الخصوصية تقديم وعظ أخلاقي لتطرح "نظرية أمن أسري" متكاملة. فهي تبدأ من تحصين الفرد ذاته حفظ الغيب، مروراً بتأمين المنافذ المادية والرقمية الاستئناس وغض البصر في سورة النور، وصولاً إلى تنقية المحيط الاجتماعي من الفيروسات الاتصالية تحريم التجسس والنميمة وإيجاب التبين في سورة الحجرات. إن تفعيل هذه المنظومة هو الضمانة الوحيدة لإعادة بناء أسوار الأسرة المعاصرة، وحمايتها من طوفان الاستباحة المادية والرقمية الذي يميز مجتمع اليوم[28].

المبحث الثالث: الاستراتيجيات القرآنية للوقاية وإدارة النزاع الجانب التطبيقي

ينتقل هذا المبحث بالدراسة من التنظير والتشخيص إلى الجانب البراغماتي التطبيقي، حيث تبرز عبقرية التشريع القرآني في كونه لا يكتفي بوصف الداء، بل يشرع منهجية متكاملة للتدخل. ويُعنى هذا المبحث بتقديم مخرجات البحث كنموذج عملي قابل للتطبيق في المؤسسات المجتمعية، والمراكز الإرشادية، والدوائر القانونية. وتعتمد المقاربة القرآنية هنا على مسارين متوازيين: مسار "وقائي" يسبق وقوع الأزمة، ومسار "علاجي" يدير النزاع حال وقوعه ويمنع تحوله إلى تفكك مدمر.

المطلب الأول: الاستراتيجية الوقائية التهيئة وبناء الوعي

تستند الفلسفة التشريعية في القرآن الكريم إلى قاعدة "الدفع أولى من الرفع" Prevention is better than cure، حيث إن تكلفة الوقاية من التفكك الأسري أخلاقياً، ونفسياً، واجتماعياً، أقل بكثير من تكلفة معالجة آثاره بعد وقوعه. وتتحقق هذه الاستراتيجية الوقائية من خلال مرحلتين حاسمتين تسبقان العقد أو ترافقان بداياته: الأولى تتعلق بضبط معايير الاختيار وتصحيح المفاهيم، والثانية تتعلق بتأسيس مبدأ "المعروف" كدستور يومي حاكم للأسرة.

أولا: معايير الاختيار وتصحيح المفاهيم قبل الزواج التأسيس المعرفي والنفسي

تؤكد الدراسات السوسيولوجية المعاصرة أن النسبة الأكبر من حالات "الطلاق المبكر" الذي يقع في السنوات الثلاث الأولى من الزواج لا تعود إلى مشكلات طارئة بعد الزواج، بل هي نتيجة حتمية لـ "خلل بنيوي" في مرحلة ما قبل الزواج؛ وتحديداً في سوء الاختيار وبناء توقعات غير واقعية عن مؤسسة الزواج[29]. وهنا تتدخل الاستراتيجية القرآنية لإعادة ضبط بوصلة الاختيار وتصحيح الوعي الجمعي.

1. إعادة تعريف معايير "الكفاءة" من المركزية المادية إلى المركزية الأخلاقية:

لقد خضع مفهوم "الكفاءة الزوجية" في العصر الحديث لتشوهات قاسية بفعل النزعة الاستهلاكية. ففي حين كانت المجتمعات التقليدية تقيم الكفاءة بناءً على الأصل والانتماء، باتت المجتمعات الحديثة تقيمها بناءً على رأس المال المادي، والمركز الوظيفي، والمقاييس الشكلية التي يفرضها الإعلام. هذا التحول جعل معايير الاختيار "هشة وقابلة للزوال"؛ فالمال قد ينفد، والجمال الشكلي يتغير، والمركز الوظيفي قد يزول، مما يترك الأسرة بلا قاعدة تستند إليها.

يتدخل القرآن الكريم ليفكك هذه المركزية المادية، ويؤسس لمعيار "الكفاءة الأخلاقية والدينية" كضمانة وحيدة للاستدامة. يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: 221]. إن التحذير القرآني وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ / وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ هو تحذير صريح من الانخداع بـ "البريق الشكلي أو المادي" الخالي من المضمون القيمي. فالإيمان في دلالته التطبيقية هنا لا يعني مجرد الاعتقاد القلبي، بل هو "منظومة أخلاقية" تضمن استقامة السلوك، واحترام العهود، وأداء الحقوق[30].

ويُعزز التوجيه النبوي هذه الاستراتيجية الوقائية بجعل "الخُلق والدين" هما حجر الزاوية في تلبية طلب الزواج: إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض. واللافت أن الحديث ربط بين التغاضي عن المعيار الأخلاقي وبين وقوع الفساد العريض، وهو ما يتطابق مع واقع التفكك الأسري اليوم، حيث يؤدي التنازل عن الأخلاق لصالح المكاسب المادية إلى انهيار منظومة الأسرة وتحولها إلى ساحة للنزاع والصراع[31].

2. تفكيك "وهم الرومانسية الحالمة" وتأسيس مفهوم "الميثاق الغليظ":

من أبرز التحديات التي تعوق الاستقرار الأسري المعاصر هو ما يُعرف في علم النفس بـ "التوقعات الزوجية غير الواقعية" Unrealistic Marital Expectations. فقد كرست السينما، والروايات، ومنصات التواصل الاجتماعي نموذجاً هوليودياً للزواج، يصوره كرحلة متصلة من الشغف واللذة الخالية من المسؤوليات والمنغصات. هذا "الوهم الرومانسي" يجعل الشباب والفتيات يصابون بـ "صدمة الواقع" Reality Shock عند أول صدام مع روتين الحياة اليومية، أو عند أول تحدٍ مالي أو صحي، مما يدفعهم لطلب الانفصال السريع ظناً منهم أنهم اختاروا الشخص الخطأ[32].

في المقابل، يرفض القرآن الكريم تسويق الزواج على أنه مجرد "علاقة عاطفية بحتة"، بل يرفعه إلى مرتبة "الميثاق الغليظ". يقول تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: 21].

إن مصطلح الميثاق الغليظ لم يُرد في القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع: أخذ العهد من أولي العزم من الرسل، وأخذ العهد على بني إسرائيل، وعقد الزواج. هذا الاستخدام اللفظي المشترك يعطي العقد الزوجي قدسية والتزاماً يفوق أي عقد مدني آخر. إن تهيئة المقبلين على الزواج لإدراك أن هذا العقد هو ميثاق يتطلب الصبر، والالتزام، والتضحية، وتحمل المسؤوليات، وأنه غليظ لا يجوز نقضه عند أول نزاع أو فتور عاطفي، يمثل جدار حماية نفسياً يقي الأسرة من التفكك المبكر[33].

3. اقتراح مؤسسي رخصة القيادة الأسرية:

كتطبيق عملي لهذه الاستراتيجية القرآنية، يُوصي البحث بضرورة مأسسة "برامج التأهيل ما قبل الزواج" واعتمادها كشرط قانوني ملزم قبل إبرام العقد في المحاكم. يجب أن تتضمن هذه البرامج محاور نفسية، واقتصادية، وشرعية، تعمل على فلترة المعايير الخاطئة، وتدريب الخاطبين على مهارات إدارة الميزانية، وحل النزاعات بناءً على الرؤية القرآنية، لضمان دخول الطرفين إلى هذه المؤسسة بوعي ناضج لا باندفاع عاطفي أعمى.

ثانيا: التأسيس لمبدأ "المعروف" كحاكم لجميع التصرفات اليومية الدستور الأخلاقي

إذا كانت معايير الاختيار هي الأساس الذي يُبنى عليه البيت، فإن مبدأ "المعروف" هو القانون الداخلي الذي يحكم تفاعلات هذا البيت ويضمن عدم تصدعه. وقد تكررت مشتقات كلمة المعروف في سياق العلاقات الأسرية في القرآن الكريم في أكثر من 19 موضعاً، شملت كافة مراحل الزواج الخطبة، المعاشرة، وحتى الطلاق، مما يجعله المبدأ المحوري والاستراتيجية الحاكمة لاستدامة الأسرة[34].

1. الدلالة اللغوية والاجتماعية لمفهوم "المعروف":

المعروف في الدلالة القرآنية أعمق بكثير من مجرد "العمل الصالح"؛ فهو مصطلح يجمع بين ما أقره الشرع كمبدأ ثابت وبين ما تعارف عليه عقلاء المجتمع كعرف متغير يتسم بالنبل والكرم. يقول الإمام فخر الدين الرازي: "المعروف هو كل ما يسكن إليه القلب من الأعمال والطباع، وتطمئن إليه النفس، ولا ينكره العقل ولا الشرع"[35].

هذه المرونة في مصطلح "المعروف" تجعله يتكيف مع تطور المجتمعات؛ فالمعروف في معاملة الزوجة في العصر الزراعي يختلف في تفاصيله لا في كلياته عن المعروف في العصر الرقمي الحديث. فاليوم، يُعد احترام خصوصية الزوجة المهنية، ومساعدتها في أعباء المنزل الذي باتت تخرج منه للعمل، والتواصل الإيجابي معها دون انشغال بالشاشات، من صميم "المعروف" الذي يفرضه واقع المجتمع المعاصر.

2. المعاشرة بالمعروف صمام الأمان ضد التعسف الذكوري أو التمرد النسوي:

يضع القرآن القاعدة الذهبية للوقاية من النزاعات اليومية في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19].

تعمل هذه الآية كضابط إيقاع للحياة اليومية، فهي:

- **تمنع التعسف في استخدام الحق:** تُلزم الآية الزوج بأن تكون جميع تصرفاته حتى تلك التي يمتلك حقاً قانونياً فيها مغلفة باللطف، واحترام الكرامة الإنسانية. فليس للزوج أن يستخدم سلطة "القوامة" لإذلال الزوجة أو تهميش رأيها، لأن ذلك ينافي "المعروف".
- **إدارة مرحلة الفتور العاطفي الوقاية من الطلاق العاطفي:** في النصف الثاني من الآية فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ...، يقدم القرآن أداة وقائية مذهلة لعلاج حالة "الفتور" أو زوال الشغف التي تحدث حتماً في كل زواج. فالقرآن لا يطالب بإنهاء العلاقة عند اختفاء الحب

الشغوف، بل يطالب بتفعيل "العقلانية الأخلاقية" الخير الكثير الكامن في الشريك. إن استحضار المعروف يحمي العلاقة من الانهيار، ويحولها من رابطة مبنية على العاطفة المتقلبة إلى رابطة مبنية على "الاحترام المتبادل والوفاء"[36].

3. المعروف كضابط للإيقاع الاقتصادي تفكيك النزاعات المالية:

لم يترك القرآن الجانب المادي عرضة للاجتهادات التي تولد النزاع، بل حكمه أيضاً بمبدأ المعروف. يقول تعالى في شأن النفقة: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: 7]، ويقول في موضع آخر: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 233].

هذا الضابط يعالج مشكلتين متناقضتين في المجتمع المعاصر:

- **بُخل الزوج التقطير المذموم:** فالمعروف يلزمه بالنفقة التي تليق بمستواه المادي وتكفي أسرته وتغنيهم عن الحاجة، دون تعنت.
- **إرهاق الزوجة التكليف بما لا يطاق:** يمنع المعروف الزوجة من مطالبات مالية استهلاكية مظاهرية تفوق قدرة الزوج المادية.

إن تفعيل مبدأ "المعروف" اقتصادياً يخلق ميزانية أسرية توافقية، ترتكز على الشفافية والرضا، وتقطع دابر أحد أهم أسباب التفكك الأسري المعاصر[37].

4. المعروف في أقصى حالات النزاع الانفصال الراقي:

تتجلى عظمة الاستراتيجية القرآنية في أنها تحافظ على قيمة "المعروف" حتى في أسوأ السيناريوهات، وهو قرار الطلاق. فالطلاق في المجتمعات الحديثة يتحول غالباً إلى حرب تصفية حسابات Zero-sum game، تُستخدم فيها القوانين الكيدية، ويُتخذ الأبناء كدروع بشرية أو أدوات للابتزاز.

يأتي القرآن ليضع قانوناً صارماً يحفظ إنسانية الطرفين: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: 229]، وقوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: 237]. إن الانفصال بالمعروف والإحسان يضمن "طلاقاً آمناً" لا يتبعه تدمير لنفسية الأطفال، ويحافظ على شعرة الاحترام التي تسمح باستمرار الشراكة في التربية والرعاية بعد انهيار الشراكة الزوجية. وهذا المفهوم القرآني يمثل اليوم حاجة ماسة لـ "محاكم الأسرة" لتضمينها في مدونات السلوك القانوني لتقليل أضرار الطلاق على المجتمع[38].

خلاصة:

إن الاستراتيجية الوقائية في القرآن الكريم لا تعتمد على النصوص القانونية الجافة، بل ترتكز على "صناعة الوعي". فمن خلال فلترة معايير الاختيار بعيداً عن المادية الطاغية، وغرس قيمة "الميثاق الغليظ"، وتتويج ذلك كله بتشريع "المعروف" كدستور حاكم لكل سكنة وحركة داخل البيت، يبني القرآن الكريم جداراً فولاذياً حول الأسرة، يمتص الصدمات المعاصرة ويمنع التصدعات الداخلية من التحول إلى انهيار شامل.

المطلب الثاني: الاستراتيجية العلاجية إدارة النزاع واحتواء الشقاق

ينطلق التصور القرآني للأسرة من واقعية شديدة، فهو لا يفترض وجود بيئة زوجية خالية تماماً من النزاعات، بل يقر بأن الاختلاف طبيعة بشرية حتمية تفرضها تباينات النشأة، والطباع، والضغوط اليومية. غير أن الخطورة – في المنظور القرآني والاجتماعي معاً – لا تكمن في "وجود النزاع" Conflict، بل في "طريقة إدارته" Conflict Management.

في العصر الحديث، وفي ظل طغيان النزعة الفردانية والاندفاع العاطفي، تحول النزاع الزوجي من "أزمة عابرة" إلى "معركة كسر عظم"، تُستخدم فيها أسلحة القطيعة، والتشهير، واللجوء المتسرع إلى المحاكم، مما يحول الاختلاف البسيط إلى تفكك حتمي[39]. وفي مواجهة هذا الانحدار، يطرح القرآن الكريم "استراتيجية علاجية" متدرجة، تبدأ بالإصلاح الداخلي الصامت، وتنتهي بمأسسة التحكيم الخارجي العقلاني، مانعاً بذلك انهيار مؤسسة الأسرة.

أولا: تدرج خطوات الإصلاح الداخلي لتجنب تفاقم الخلاف الهندسة السلوكية

عندما تتجاوز الأسرة مرحلة "الفتور" لتصل إلى مرحلة "النشوز" Rebellion/Discord – والنشوز في دلالته اللغوية هو الارتفاع والاستعلاء، ويُقصد به هنا تمرد أحد الزوجين على ميثاق الزوجية وتنكره لواجباته[40] – فإن التشريع الوضعي المعاصر غالباً ما يترك للطرفين حرية اتخاذ قرارات متسرعة كالطرد من المنزل أو رفع دعوى قضائية مباشرة.

أما الاستراتيجية القرآنية فتتدخل بصرامة لتسحب فتيل الانفجار، واضعةً "بروتوكولاً علاجياً" متسلسلاً لا يجوز تجاوزه، يهدف إلى محاصرة الخلاف داخل جدران الغرفة المغلقة. يتجلى هذا البروتوكول في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: 34]. وهذا التدرج ينسحب في فلسفته على نشوز الزوج أيضاً مع اختلاف الآليات بما يتناسب مع الطبيعة النفسية.

يُفكك المنهج التحليلي هذا التدرج إلى ثلاث آليات سيكولوجية متعاقبة:

1. الموعظة الاحتواء المعرفي والعاطفي - Cognitive Intervention:

الخطوة العلاجية الأولى هي "الموعظة"، وهي ليست مجرد سرد للنصائح الجافة، بل هي عملية اتصال وجداني عميق Emotional Communication. في علم النفس الأسري الحديث، يقابلها مفهوم "العلاج المعرفي السلوكي" CBT المطبق على العلاقات؛ حيث يهدف إلى تصحيح الأفكار المشوهة التي أدت إلى النزاع.

الموعظة القرآنية تتطلب تذكيراً بالعهد الغليظ، واستدعاءً للذكريات الإيجابية الفضل، وتبياناً لمآلات النزاع على مستقبل الأسرة والأبناء. إن اشتراط الموعظة كخطوة أولى يمنع "الانفعال الأعمى" ويفرض على الشريكين الجلوس إلى طاولة الحوار العقلاني. واللافت أن القرآن لم

يحدد زمناً للموعظة، مما يعني ضرورة استمرارها وتكرارها وتغيير أساليبها حتى تستنفد أغراضها، ولا يُنتقل إلى ما بعدها إلا عند الإصرار المتعنت على هدم الكيان الزوجي[41].

2. الهجر في المضاجع الصدمة الشعورية والاحتجاج الصامت - Behavioral/Symbolic Intervention:

إذا فشلت لغة الحوار وتصلب الموقف، ينتقل القرآن إلى عقوبة سيكولوجية بالغة الدقة: "الهجر في المضاجع".

في الواقع المعاصر، أول ما يفعله الزوجان عند الخلاف هو "ترك المنزل" الذهاب إلى بيت الأهل، أو تغيير الغرفة، مما يؤدي إلى نتائج كارثية: فضح السر الزوجي أمام الأطفال، واستدعاء تدخلات خارجية تعقد المشكلة.

أما العبقرية التشريعية في الآية فتكمن في التقييد المكاني: فِي الْمَضَاجِعِ. إن الهجر هنا هو "احتجاج صامت" و"عزلة شعورية" داخل أضيق حيز في الأسرة السرير الزوجي. ظهر الزوج لظهر زوجته دون كلام، هو رسالة رفض قاطعة للسلوك، لكنها في الوقت ذاته تحتفظ بالود المكاني. هذا الهجر الجسدي يولد "حرماناً عاطفياً مؤقتاً" يدفع الطرف المتعنت لمراجعة نفسه. والأهم من ذلك: أنه يبقي الخلاف سراً لا يعلم به حتى أبناء الدار، محافظاً على الكرامة الاجتماعية للشريكين[42].

3. الضرب الرمزي كسر حواجز الكبرياء كإجراء وقائي أخير - Psychological Shock:

تُعد هذه الخطوة من أكثر القضايا التي تعرضت لسوء الفهم أو الاستغلال المذموم، وتُستغل للطعن في المنظومة التشريعية. غير أن التحليل الأكاديمي المقاصدي يضعها في إطارها العلمي الدقيق.

أجمع المفسرون والفقهاء سلفاً وخلفاً على أن المراد هنا ليس "العنف المادي" Domestic Violence الذي تحرمه الشريعة وتُعاقب عليه، بل هو ضرب رمزي غير مبرح، لا يكسر عظماً، ولا يترك أثراً، ولا يكون في الوجه، بل يُضرب بعود السواك أو ما شابه.

التحليل السيكولوجي: ما قيمة ضربة بالسواك لا تُحدث ألماً بدنياً؟ الجواب يكمن في "الصدمة النفسية" Psychological Shock. حين تفشل الموعظة، ويفشل الهجر العاطفي في كسر حالة الكبرياء والغرور التي ركبت الطرف الناشز، يأتي هذا الإجراء الرمزي ك "إعلان حالة الطوارئ القصوى"؛ ليوصل رسالة مفادها: "لقد وصلت العلاقة إلى حافة الانهيار، وأنا كزوج أستخدم آخر صلاحياتي القيادية لإنقاذ هذا الكيان قبل أن يتدمر". إنها إهانة رمزية للكبرياء وليست للجسد لكسر العناد. وقد أثبتت بعض الدراسات النفسية أن في بعض حالات التعنت الحاد Hysterical Stubbornness، تكون الصدمة المفاجئة غير المؤذية هي السبيل الوحيد لإعادة الشخص إلى وعيه وإخراجه من حالة الهستيريا[43].

ثانيا: مأسسة مفهوم التحكيم القرآني الوقاية من التقاضي الندي

إذا استنفدت آليات "الإصلاح الداخلي" أغراضها، وبات الشقاق يهدد جدران الأسرة بالانهيار، تبرز المرحلة العلاجية النهائية. في الممارسات المعاصرة، الخطوة التالية هي اللجوء فوراً إلى "المحاكم" والمحامين.

1. نقد الواقع القانوني المعاصر كارثية التقاضي الندي:

تعمل المحاكم الحديثة وفق نظام "التقاضي الندي" Adversarial System؛ حيث يتحول الزوجان إلى مُدَّعٍ ومُدَّعَى عليه، والمحامي الناجح هو من يستطيع تدمير الطرف الآخر قانونياً وإثبات خطئه لانتزاع أكبر مكسب مادي لموكله. الدخول إلى قاعة المحكمة يرافقه كشف للأسرار الحميمية في صحائف الدعوى، واتهامات متبادلة، مما يغتال ما تبقى من "مودة ورحمة". النتيجة الحتمية للمحاكم الأسرية الوضعية هي: إنهاء العلاقة بقطيعة تامة وعداء مستحكم يدفع ثمنه الأطفال[44].

2. البديل القرآني التحكيم الأسري كمركز استرشادي:

لتفادي هذا الدمار، يطرح القرآن آلية مجتمعية وقانونية فذة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: 35].

هذه الآية تؤسس لمفهوم "المؤسسات الإرشادية البديلة" Alternative Dispute Resolution - ADR، ويمكن تفكيك عبقريتها في النقاط الآتية:

- **من القاضي إلى الحَكَم:**

لم يقل القرآن فابعثوا "قاضياً"، بل قال "حَكَماً". القاضي يُطبق القانون الجاف ويفصل في النزاع بـ حكم ملزم، ولا يُعنى بترميم العاطفة. بينما الحَكَم يُعنى برأب الصدع، وتقريب وجهات النظر، والبحث عن الجذور النفسية للمشكلة لإيجاد حل ودي. الحَكَم يبحث عن الإصلاح، والقاضي يبحث عن الإلزام[45].

- **منظومة القرابة حَكَمٌ من أهله وحَكَمٌ من أهلها:**

اشترط القرآن أن يكون الحكمان من الأهل. لماذا الأهل وليس من الأصدقاء أو قضاة المحاكم المجهولين للزوجين؟

- *أولاً حفظ السر:* الزوجان سيكونان أكثر جرأة ومصارحة مع أفراد عائلتهما، وفي الوقت نفسه سيأمنان عدم خروج أسرارهما إلى الفضاء العام.
- *ثانياً المصلحة المشتركة:* الحكمان من الأهل يمتلكان دافعاً حقيقياً وعاطفياً لبقاء هذه الأسرة متماسكة حرصاً على الأبناء والسمعة العائلية، على عكس المحامي الذي ينتفع مادياً من استمرار النزاع.
- *ثالثاً الضغط الأخلاقي:* اختيار رجل رشيد من أهل الزوج وآخر من أهل الزوجة يفرض ضغطاً أخلاقياً على الزوجين للالتزام بقرارات الحكمين احتراماً لمكانتهما الأسرية[46].

- **سر التوفيق الإلهي إن يُرِيدَا إِصْلَاحًا:**

ربط القرآن نجاح عملية التحكيم بـ "النية المخلصة" للحكمين. فإذا اجتمع الحكمان بنية تدمير الطرف الآخر، أو الانحياز الأعمى العصبية القبلية لابنهم أو ابنتهم، سيفشل التحكيم. أما إذا تجرد الحكمان من العصبية، وكانت نيتهما الخالصة هي الإصلاح، فإن القرآن يتدخل بقانون ما وراء مادي ميتافيزيقي مؤكداً: يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا. وهذا الربط يعطي لعملية التحكيم الأسري بعداً روحياً وتعبّدياً لا نظير له في القوانين الوضعية.

3. الرؤية التطبيقية مأسسة التحكيم في القضاء المعاصر:

لا يقف البحث عند حدود التفسير النظري، بل يقدم مقترحاً براغماتياً لمأسسة هذا المبدأ القرآني في الواقع القانوني للدول الإسلامية. ويتمثل ذلك في:

- **تغيير فلسفة محاكم الأسرة:** يجب ألا تسمح المحاكم بتسجيل دعوى الطلاق مباشرة. بل يُشترط قانوناً قبل الشروع في أي إجراءات، تحويل الملف إلى "مراكز إرشاد وتحكيم أسري" ملحقة بالمحاكم.
- **تشكيل لجان التحكيم المدمجة:** تتكون هذه اللجان من: حَكَم من أهل الزوج، وحَكَم من أهل الزوجة امتثالاً للنص القرآني، يُضاف إليهم بصفة مراقب وموجه باحث اجتماعي أو نفسي ومستشار شرعي.
- **تفعيل الإلزام القانوني لقرارات التحكيم:** إذا تمكن الحكمان من التوصل إلى وثيقة صلح تتضمن شروطاً التزامية على الطرفين، يتم التصديق عليها من المحكمة لتكتسب "قوة السند التنفيذي"، مما يمنع تنصل أي طرف منها مستقبلاً[47].
- **الحد من تدخلات مكاتب المحاماة في بدايات النزاع:** منع تمثيل المحامين للزوجين في جلسات التحكيم الأولى؛ لضمان بقاء لغة الحوار "ودية إرشادية" وليست "قانونية هجومية"، وهو ما يقلص نسب الطلاق بشكل جذري، ويحول دون تفاقم الشقاق.

خلاصة:

تُشكل الاستراتيجية العلاجية القرآنية نسقاً متكاملاً لإدارة النزاع الأسري؛ فهي لا تقفز إلى الحلول الراديكالية الطلاق فور وقوع الأزمة، بل تستنزف كافة آليات الإصلاح الداخلي موعظة، هجر، صدمة رمزية للحفاظ على الكيان والخصوصية. وإذا استعصى الإصلاح من الداخل، تنقل الملف إلى مؤسسة التحكيم العائلي التي تمزج بين الحكمة الاجتماعية، والسرية، والقصد الأخلاقي العالي. إن إعادة إحياء هذه الآليات ومأسستها قانونياً يمثل المخرج الوحيد لمجتمعاتنا المعاصرة من ظاهرة الانهيار الأسري الطافح في أروقة المحاكم.

المطلب الثالث: مرحلة ما بعد التفكك أخلاقيات الانفصال وحماية الأبناء

عندما تستنفد آليات الوقاية والإصلاح والتحكيم أغراضها، ويُصبح استمرار العلاقة الزوجية ضرباً من العبث الذي يولد ضرراً يفوق النفع، يتدخل المشرع الحكيم لفتح باب "الطلاق" كضرورة استثنائية كيّ الجراح. غير أن العبقرية القرآنية لا تتوقف عند إباحة الانفصال، بل تشرعن "أخلاقيات ما بعد التفكك"؛ فالطلاق في الرؤية القرآنية هو نهاية لـ "عقد الزوجية"، ولكنه ليس نهاية لـ "أخلاقيات الإنسانية" ولا لـ "شراكة الأبوة والأمومة". في هذا المطلب، نقارب واقع الانفصال المعاصر مقارنةً بالنموذج القرآني الرامي لحماية الأبناء من التشظي.

أولاً: رصد الواقع القضائي والاجتماعي المعاصر الطلاق كحرب إبادة متبادلة

يكشف التتبع السوسيولوجي والقانوني لواقع الانفصال في العصر الحديث عن حالة من "التوحش الأخلاقي" تجتاح محاكم الأسرة. فقد تحول الطلاق من حل اضطراري لإنهاء معاناة إلى ساحة للانتقام وتصفية الحسابات. ويمكن رصد أبرز ملامح هذا الواقع المرير في النقاط الآتية:

1. فلسفة "التقاضي الكيدي" Malicious Litigation:

في ظل القوانين الوضعية والممارسات المجتمعية المشوهة، يدخل الزوجان إلى المحكمة بعقلية "المباراة الصفرية" Zero-Sum Game؛ حيث يُعتقد أن انتصار طرف لا يتحقق إلا بالتدمير الكلي للطرف الآخر. فتُرفع دعاوى النفقة المبالغ فيها لإرهاق الزوج مادياً، وفي المقابل يرفع الزوج دعاوى "النشوز" أو "إسقاط الحضانة" عبر الطعن في شرف الزوجة أو أهليتها الأخلاقية. هذا التشهير المتبادل، الذي توثقه محاضر المحاكم الرسمية ويطلع عليه الغرباء، يغتال الكرامة الإنسانية ويدمر أي فرصة لاحترام متبادل بعد الطلاق[48].

2. ظاهرة تسليح الأبناء Weaponization of Children ومتلازمة الاغتراب:

الضحية الأكبر لهذا النسق القضائي الانتقامي هم الأطفال. فقد أفرزت حالات الطلاق المعاصر ظاهرة خطيرة صنفها علم النفس الجنائي والأسري بـ "متلازمة الاغتراب الأبوي" Parental Alienation Syndrome - PAS. وتحدث هذه المتلازمة عندما يقوم الطرف الحاضن الأم غالباً، أو الأب في بعض الحالات بـ "غسيل دماغ" مبرمج للطفل لزرع الكراهية والنفور تجاه الطرف الآخر، وتصويره كشيطان رجيم.

يُستخدم الأطفال هنا كـ "دروع بشرية" أو "أدوات ابتزاز"؛ فتُمنع الرؤية، وتُساوم الأم على تنازلات مالية مقابل السماح للأب برؤية أبنائه، أو يمتنع الأب عن دفع النفقة نكاية بالأم. والنتيجة النفسية الحتمية لهذا الصراع هي تدمير الهوية النفسية للطفل، وإصابته باضطرابات القلق والاكتئاب، وفقدانه لنموذج القدوة، مما يجعله مشروعاً لشخصية مضطربة وغير متكيفة اجتماعياً في المستقبل[49].

ثانياً: المعالجة القرآنية منهجية "التسريح بإحسان" وتأمين ما بعد التفكك

في مقابل هذا العبث الانتقامي، يضع القرآن الكريم حداً فاصلاً وجداراً أخلاقياً يحكم مرحلة ما بعد الانفصال، ويتلخص هذا الجدار في مصطلح قرآني فذ هو: **"التسريح بإحسان"**. يقول تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: 229].

1. التحليل الدلالي والمقاصدي لـ "التسريح بإحسان":

- **دلالة التسريح:** لم يقل القرآن طرد أو رمي، بل قال تسريح. والتسريح في اللغة يُطلق على فك العقدة بلطف دون قطع الحبل، ويُطلق على ترك الدابة ترعى بحرية واطمئنان. فكأن القرآن يوجه الزوجين إلى أن الانفصال يجب أن يكون فكاً هادئاً للرابطة لا تمزيقاً عنيفاً لها.

- **الانتقال من العدل إلى الإحسان:** من الملاحظات الإعجازية في الآية أن الإمساك استمرار الزواج قُيد بـ المعروف، بينما التسريح الطلاق قُيد بـ الإحسان. لماذا الإحسان وليس العدل؟ لأن العدل يعني أن تأخذ حقك كاملاً وتعطي الطرف الآخر حقه بالمليم، وهذا في لحظات الطلاق المشحونة بالغضب غالباً ما يولد تنازعاً واختلافاً في تقدير الحقوق. أما الإحسان فهو التنازل الطوعي عن جزء من الحق، وإعطاء الآخر أكثر مما يستحق فضلاً وكرماً. القرآن يدرك أن الطلاق يترك ندوباً غائرة، ولا يجبر هذه الندوب ميزان العدل الجاف، بل بلسم الإحسان والتسامح[50].

2. آلية "المتعة" كتعويض نفسي وجبر للخواطر:

استكمالاً لمنهجية الإحسان، يُشرّع القرآن حكماً مالياً ذا بُعد نفسي عميق، وهو متعة المطلقة. يقول تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 241].

المتعة ليست نفقة أو مؤخر صداق، بل هي هدية مالية أو عينية يقدمها الزوج لزوجته المطعونة بقرار الطلاق. في القوانين المعاصرة، لا يوجد تعويض مالي يُدفع إلا عبر المحاكم وبقوة الشرطة، مما يحوله إلى "غرامة أو عقوبة" تثير حنق الزوج. أما القرآن فيسميها متاعاً ويجعلها حقاً على المتقين، ليُخرجها من دائرة القهر القانوني إلى دائرة السمو الأخلاقي. هذه الهدية تمسح دموع الانكسار، وتزيل الإحساس بالظلم، وتجعل المرأة تخرج من بيت زوجها بكرامة وامتنان، مما ينعكس إيجاباً على طريقة حديثها عنه أمام أبنائها لاحقاً[51].

ثانياً: التشريعات القرآنية الصارمة لحماية الأبناء من الصراع

تتجه بوصلة القرآن بعد الطلاق مباشرة لحماية الحلقة الأضعف وهم الأطفال، حيث يؤسس لمرحلة يُطلق عليها علم الاجتماع اليوم Co-Parenting أو "الشراكة الأبوية بعد الانفصال الزوجي"، وذلك عبر قواعد صارمة:

1. القاعدة الذهبية تحريم الضرار بالطفل:

يقول تعالى في آية ترسم دستور الحضانة: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: 233].

هذا النص يضرب في الصميم كل أشكال متلازمة الاغتراب الأبوي التي ذُكرت سابقاً.

- لا تضار والدة بولدها: يُحرم على الأب أن ينتزع الرضيع من أمه إضراراً بها وانتقاماً منها، أو أن يمتنع عن دفع نفقة الطفل ليذل الأم الحاضنة.
- ولا مولود له بولده: يُحرم على الأم أن تستغل حضانتها للطفل لحرمان الأب من رؤيته، أو لغرس الكراهية في قلبه تجاه أبيه.

إن استخدام حرف الجر بـ في كلمة بولدها/بولده يحمل إعجازاً نفسياً؛ فالقرآن يحذر من اتخاذ الطفل أداة أو وسيلة لإيقاع الضرر بالطرف الآخر. هذا التشريع يفرغ الطلاق من شحنته الانتقامية ويحوله إلى انفصال مسؤول يحيد الأطفال تماماً عن دائرة النيران[52].

2. إدارة التفاوض التربوي التشاور في أصغر التفاصيل:

من المدهش أن القرآن الكريم الذي أقر انفصال الزوجين، يرفض انفصالهما في قرار تربية الأبناء. يقول تعالى في تتمة الآية السابقة حول قرار فطام الرضيع: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

إذا كان الإسلام يوجب على الزوجين المطلقين أن يتشاورا ويتراضيا في قضية بيولوجية بسيطة كـ فطام طفل عن الرضاعة، فكيف بقرارات التربية الكبرى تعليمه، صحته، زواجه؟!

هذه الآية تؤسس لمبدأ "الفصل بين المسارين": انهيار مسار الزوجية لا يعني أبداً انهيار مسار الأبوة والأمومة. فالقرآن يلزم المطلقين بالبقاء حول طاولة التشاور الدائم فيما يخص مستقبل الأبناء، وهو أرقى ما وصلت إليه المدارس التربوية الاسكندنافية الحديثة، وقد قرره القرآن قبل قرون[53].

3. استبقاء الرصيد الإيجابي وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ:

تختتم هذه التشريعات بقاعدة نفسية حاكمة: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 237].

يطالب القرآن الزوجين المطلقين بمقاومة آلية "التشويه المعرفي" التي يفرزها الغضب. فالزواج الذي استمر لسنوات لا بد أنه تضمن لحظات طيبة، ووقفات داعمة، ومودة مشتركة الفضل. إن تذكر هذا الفضل هو المانع من الانزلاق إلى الفجور في الخصومة. عندما تستحضر المطلقة أو المطلق هذا الرصيد الإيجابي، فإنهم سيترفعون عن فضح الأسرار على منصات السوشيال ميديا، وسيتوقفون عن تشويه صورة الشريك السابق أمام الأبناء.

خلاصة:

بالمقارنة بين الواقع القضائي المدمر والنموذج القرآني، نجد أن القوانين الوضعية والمحاكم أثبتت فشلها الذريع في حماية "إنسانية" الأسرة المنهارة، بل زادت من تمزيقها. بينما يقدم القرآن الكريم استراتيجية "التسريح بإحسان" بوصفها أرقى آلية لإدارة ما بعد التفكك؛ حيث تتحول العلاقة من "زوجية" انتهت أسباب بقائها، إلى "شراكة أبوية" تديرها أخلاق التسامح، والتعويض المالي الكريم المتعة، والتشاور التربوي المشترك، وتحريم اتخاذ الأبناء دروعاً بشرية، ليثبت النص القرآني أنه الملاذ الآمن للإنسان، ليس فقط في أوقات بناء الأسرة ورخائها، بل وحتى في أوقات هدمها وانكسارها.

الخاتمة والتوصيات

بعد التطواف التحليلي في رحاب النص القرآني، وإسقاط دلالاته التشريعية والأخلاقية على واقع الأسرة المعاصرة وما يعتريها من أزمات هيكلية، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج المحورية، وانتهى إلى صياغة عدد من التوصيات العملية القابلة للتطبيق المؤسسي والقانوني.

أولاً: أهم النتائج

أثبتت هذه الدراسة التحليلية قدرة النص القرآني الفائقة على تقديم حلول مرنة تتكيف مع تعقيدات العصر الحديث، وتتجاوز قصور المقاربات المادية البحتة، وذلك من خلال النتائج الآتية:

1. **إعادة هيكلة المفهوم الأسري:** أثبت البحث أن الرؤية القرآنية تنتشل الأسرة من براثن "التعاقد النفعي الهش" الذي تفرضه الحداثة المادية، لترتقي بها إلى مرتبة "الميثاق الغليظ" القائم على ثلاثية السكن، المودة، والرحمة، وهي منظومة قادرة على امتصاص أعتى الصدمات الاجتماعية.
2. **الوقاية من ضغوط النزعة الاستهلاكية:** بينت الدراسة أن القرآن الكريم يعالج الأزمات المادية للأسرة لا بضخ الأموال، بل عبر "هندسة الوعي الاقتصادي"، من خلال إرساء قواعد الترشيد، وإعادة تعريف القوامة بوصفها تكليفاً بالرعاية والحماية لا تشريفاً وتسلطاً، وتفعيل مفهوم التكافل الزوجي وقت الأزمات.
3. **تفكيك العزلة الرقمية والخرس الزوجي:** أظهر البحث أن المنهجية القرآنية تمتلك آليات فعالة لمواجهة "التجاهل الرقمي" و"التواصل السلبي"، من خلال تشريع الإنصات المتعاطف، ومأسسة مبدأ التشاور في أصغر تفاصيل الحياة، وإدارة الانفعالات بقاعدة "الدفع بالتي هي أحسن" واستحضار الإيجابيات الكلية.
4. **حراسة الخصوصية من الاختراق:** تجلت العبقرية القرآنية في بناء أسوار حماية نفسية واجتماعية تمنع استباحة الأسرة وتسليع خصوصياتها سواء عبر منصات التواصل أو التدخلات العائلية، وذلك من خلال تفعيل مبادئ حفظ الغيب، والاستئناس، وغض البصر عن حيوات الآخرين، وتجريم التجسس والنميمة.
5. **الريادة في إدارة النزاع وأخلاقيات ما بعد التفكك:** أثبت البحث تفوق التشريع القرآني على القضاء الوضعي في إدارة الخلاف؛ فهو يعتمد استراتيجية علاجية متدرجة تبدأ بالإصلاح الداخلي الصامت وتنتهي بالتحكيم الخارجي العقلاني. وفي حال استحالة الاستمرار، يفرض المنهج القرآني مبدأ التسريح بإحسان، الذي يحرم اتخاذ الأبناء دروعاً للانتقام، ويؤسس لـ "شراكة أبوية" تديرها أخلاق التسامح والفضل، وهو ما يعجز عنه نظام "التقاضي الندي" المعاصر.

ثانياً: التوصيات

بناءً على ما أسفرت عنه نتائج البحث من حقائق، وفي سبيل تحويل المخرجات النظرية إلى تطبيقات عملية تحد من ظاهرة التفكك الأسري، يوصي البحث بما يأتي:

1. **إقرار "رخصة القيادة الأسرية" التأهيل الإلزامي:**

توصية الجهات التشريعية والمؤسسات الدينية بفرض "برامج تأهيلية إلزامية" للمقبلين على الزواج، تُعد شرطاً قانونياً قبل إبرام عقد النكاح. على أن تُبنى مناهج هذه البرامج على الرؤية القرآنية في معايير الاختيار، إدارة الميزانية، فنون الحوار، وفقه احتواء النزاعات، لتأسيس وعي ناضج يسبق الارتباط العاطفي.

2. **تعديل قانون الأحوال الشخصية بتفعيل مؤسسة التحكيم القرآني:**

توصية المشرع القانوني بإعادة هيكلة إجراءات التقاضي في محاكم الأسرة، بحيث يُمنع تسجيل دعاوى الطلاق أو التفريق المباشر، وتُحال الملفات وجوباً إلى "لجان تحكيم أسري استرشادية" تضم حكماً من أهله وحكماً من أهلها، بإشراف مختصين نفسيين وشرعيين. تُمنح هذه اللجان صلاحيات واسعة ومساحة زمنية كافية لرأب الصدع قبل اللجوء إلى القضاء الندي.

3. **تضمين "مدونة أخلاقيات الانفصال" في قرارات المحاكم:**

في حال وقوع الطلاق، يوصى بأن تتبنى المحاكم آليات قانونية مستمدة من مبدأ التسريح بإحسان، كفرض عقوبات رادعة على أي طرف يثبت استخدامه للأطفال كأداة للابتزاز المادي أو العاطفي متلازمة الاغتراب الأبوي، وإلزام المطلقين بجلسات توجيهية لضمان استمرار "التشاور التربوي" بعيداً عن أروقة المحاكم.

4. **تفعيل دور الإعلام والمؤسسات التعليمية:**

إطلاق حملات توعوية وطنية تستمد مادتها من سورتي النور والحجرات، تركز على خطورة انتهاك خصوصية البيوت على منصات التواصل الاجتماعي، وتحذر من ظاهرة "تسليع الحميمية"، مع العمل على غرس قيم "حفظ الغيب" و"غض البصر الرقمي" في المناهج التربوية للأجيال الناشئة.

5. **توسيع دائرة الدراسات البينية**

توجيه الباحثين في أقسام علوم القرآن والتفسير نحو تعزيز الشراكة البحثية مع أقسام علم الاجتماع وعلم النفس، لإنتاج بحوث تطبيقية مشتركة تُسقط الهدايات القرآنية على أحدث الظواهر الاجتماعية المعقدة، مما يثري المكتبة الأكاديمية العالمية ويثبت الفاعلية الواقعية للقرآن الكريم.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

1. ابن عاشور، محمد الطاهر. 1984. *تفسير التحرير والتنوير* أجزاء 2، 5، 18، 21. الدار التونسية للنشر.
2. ابن عاشور، محمد الطاهر. 2001. *مقاصد الشريعة الإسلامية* ط. 2. دار النفائس.
3. ابن ماجه، محمد بن يزيد. 2009. *سنن ابن ماجه* كتاب النكاح، ج 3. دار الرسالة العالمية.
4. ابن منظور، محمد بن مكرم. 1994. *لسان العرب* ج 5. دار صادر.
5. أبو زهرة، محمد. 1998. *زهرة التفاسير* ج 2. دار الفكر العربي.

6. الأصفهاني، الراغب. 1992. *مفردات ألفاظ القرآن* تحقيق صفوان عدنان داودي. دار القلم.
7. باومان، زيجمونت. 2016. *الحب السائل: عن هشاشة الروابط الإنسانية* ترجمة حجاج أبو جبر. الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
8. باومان، زيجمونت، وليون، ديفيد. 2014. *المراقبة السائلة* ترجمة حجاج أبو جبر. الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
9. بودريار، جان. 2008. *مجتمع الاستهلاك: دراسة في أساطير وتراكيب مجتمع الاستهلاك* ترجمة خليل أحمد خليل. دار الفكر اللبناني.
10. البيضاوي، عبد الله بن عمر. 1998. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل تفسير البيضاوي* ج 2. دار إحياء التراث العربي.
11. الجارحي، محمد أمين. 2016. *قضاء الأسرة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي: دراسة نقدية*. دار الفكر الجامعي.
12. حلاق، وائل. 2014. *الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي* ترجمة عمرو عثمان. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
13. الخولي، سناء. 2008. *الأسرة والحياة العائلية: دراسة في علم الاجتماع العائلي*. دار المعرفة الجامعية.
14. الرازي، فخر الدين. 1981. *مفاتيح الغيب التفسير الكبير* أجزاء 6، 24، 28. دار الفكر.
15. الزحيلي، وهبة. 1985. *الفقه الإسلامي وأدلته* ج 7. دار الفكر.
16. زيدان، عبد الكريم. 1993. *المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية* ط. 1، أجزاء 7، 8. مؤسسة الرسالة.
17. السباعي، مصطفى. 1999. *المرأة بين الفقه والقانون*. دار الوراق.
18. الشاطبي، إبراهيم بن موسى. 1997. *الموافقات في أصول الشريعة* ج 2. دار ابن عفان.
19. الشعراوي، محمد متولي. 1997. *تفسير الشعراوي* ج 23. مطابع أخبار اليوم.
20. الطبري، محمد بن جرير. 2001. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* ج 6. هجر للطباعة والنشر.
21. الطحان، خالد. 2019. الضغوط النفسية وأثرها على الاستقرار الأسري. *مجلة الدراسات النفسية والاجتماعية*، 152، 45-50.
22. عبد الباقي، محمد فؤاد. 1945. *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*. مطبعة دار الكتب المصرية.
23. عبد العاطي، حامد. 1990. *الأسرة وبناؤها في الإسلام* ترجمة عبد الصبور شاهين. دار الاعتصام.
24. العلواني، طه جابر. 2007. *نحو موقف قرآني من إشكاليات الأسرة الحديثة*. دار السلام للنشر والتوزيع.
25. العودة، سلمان. 2010. *مع الله: دراسات في أسماء الله الحسنى وصفاته العليا*. دار الإسلام.
26. الغزالي، أبو حامد. 2001. *إحياء علوم الدين* ج 2. دار ابن حزم.
27. الغزالي، محمد. 2005. *قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة* ط. 6. دار الشروق.
28. فهمي، مصطفى. 2018. *علم الاجتماع الأسري: دراسة في قضايا الأسرة المعاصرة والتحديات المستقبلية*. دار المسيرة للنشر والتوزيع.
29. القرطبي، محمد بن أحمد. 2006. *الجامع لأحكام القرآن* أجزاء 5، 6. مؤسسة الرسالة.
30. القرضاوي، يوسف. 2000. *ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده*. مكتبة وهبة.
31. قطب، سيد. 2003. *في ظلال القرآن* ط. 32، ج 1. دار الشروق.
32. الكبيسي، وميض. 2018. *علم اجتماع العائلة: التحديات المعاصرة وآليات التكيف* ط. 2. دار الشروق للنشر والتوزيع.
33. مجلس القضاء الأعلى العراقي. 2023. *النشرة الإحصائية السنوية لبيانات الزواج والطلاق في المحاكم العراقية*. قسم الإحصاء المركزي.
34. المجدوب، أحمد. 2006. *الطلاق ومشكلاته في المجتمع العربي المعاصر*. الدار المصرية اللبنانية.
35. المسيري، عبد الوهاب. 2002. *العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة* ط. 1، ج 1. دار الشروق.
36. مصطفى، إبراهيم. 2012. سيكولوجية الخلافات الزوجية: دراسة في آليات الدفاع والاحتواء. *مجلة العلوم الاجتماعية*، 391، 115-120.
37. هان، بيونج-تشول. 2019. *مجتمع الشفافية* ترجمة بدر الدين مصطفى. دار مؤمنون بلا حدود.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1. Amato, P. R. 2010. Research on Divorce: Continuing Trends and New Developments .*Journal of Marriage and Family*.666-650 ,723 ,
2. Gardner, R. A .1998 .*The Parental Alienation Syndrome: A Guide for Mental Health and Legal Professionals* 2nd ed.. Creative Therapeutics.
3. Giddens, A .1992 .*The Transformation of Intimacy: Sexuality, Love and Eroticism in Modern Societies* .Stanford University Press.
4. Roberts, J. A & ,.David, M. E. 2016. My life has become a major distraction from my cell phone: Partner phubbing and relationship satisfaction among romantic partners .*Computers in Human Behavior*.141-134 ,54 ,
5. Turkle, S .2011 .*Alone Together: Why We Expect More from Technology and Less from Each Other* . Basic Books.